

القرآن في الجاهلية والحديث

للدكتور الفرنسي
موريس بوكاي

(المحاضرة التي أقيمت بمعهد اللغويات البريطانية بلندن)

ترجمها إلى العربية
د/ نبيل عبد السلام تهارون

دار الطلائع

للنشر والتوزيع والتصدير
٥٩ شارع عبد الكبير الراعي، ناحية امتداد فكر عمر عبيد
وسيرفيل، مدينة نصر، القاهرة. فاكس ٤٨٠٤٨٣
تليفون ٤٦٧٩٨٦٣ / ٤٦٤٤٢٠٤٦

الوكلاء بالدول العربية

السعودية

● الدار البيضاء للنشر والتوزيع

الرياض ط ٤٥١٦٣٤ ص.ب ٨٩٥٦٢ الرياض الرمز ١١٦٩٢

● كنوز المعرفة للنشر والتوزيع

جدة ت ١٥١-٤٢١ فاكس ٦٤٤٢٧٣ ص.ب ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧

المغرب

● دار المعرفة للنشر والتوزيع

40 شارع فيكتور هوبكو - الدار البيضاء

ص.ب 4150 ☎ 300567 - 309520

● المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع

12 حي المدخلية - ريفناك - الدار البيضاء

☎ 307643

الإمارات

● دار الفضيلة للنشر والتوزيع

دبي - دبيرة - ص.ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٨٦٩ فاكس ٦٢١٢٧٦

البحرين

● دار الحكمة للنشر والتوزيع

ص.ب ٢٣٨١٤ ج.ب ٣٣٦٠٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لما كان عطاء القرآن متجدداً على مر العصور والدهور فإن علينا - نحن المسلمين - أن نتابع ما يقوله الباحثون والعلماء بشأن تلك العبارات التي وردت في القرآن ، وتشير بوضوح إلى حقائق علمية كانت بعيدة تماماً عن إدراك أسلافنا - رضى الله عنهم - حيث لم يتجاوز حظهم منها إدراك المعنى اللغوى الظاهرى ، وإن أصبحت الآن من المعارف الأساسية .

والدكتور « مورييس بوكاى » أحد أولئك العلماء الباحثين فهو جراح فرنسى مرموق ، وعالم محقق عرفه الناس بكتابه : « القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم » .

ذلك الكتاب الذى صدر باللغة الفرنسية والإنجليزية والعربية . والذى تناول فيه ما توصل إليه فى بحوثه من مقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة ، وهو يُعدّ دراسة فريدة من نوعها فى تقييم الأديان السماوية من منظور العلم !

وقد بدأت رحلته العقلية من المسيحية إلى الإسلام عندما عُهد إليه كجراح مبرز بمعالجة « مومياء الفرعون منفتح » !

وفى زيارة طبية له إلى السعودية بعد ذلك أُتيح له فى إحدى المناقشات أن يلم بما جاء فى القرآن الكريم حول غرق فرعون موسى ، ثم بقاء بدنه سليماً ؛ ليكون آية لكل الأجيال من بعده !

ولما كان « بوكاي » على دراية سابقة برواية الكتاب المقدس عن غرق فرعون ؛ فقد دهش كثيراً عندما اكتشف أن القرآن وحده - قد قرر الحقيقة

التي لم تعرفها البشرية إلا في هذا القرن ، مع بداية
الكشوف الأثرية ، والعثور على « المومياوات »
المحنطة لفراعنة مصر ، ومنها « مومياء الملك
منفتاح » المعروف بـ « فرعون موسى » أو
« فرعون الخروج » .

نقطة التحول في حياة بوكاي :

وكانت تلك نقطة التحول في دراسات الدكتور :
« بوكاي » ؛ فقرر دراسة القرآن الكريم واللغة
العربية ، ثم عكف على إجراء دراسة مقارنة بين
نصوص القرآن الكريم ، والكتاب المقدس :
« التوراة والأنجيل » ، في ضوء المعارف
الحديثة .

نتيجة البحث والمقارنة :

وخرج من هذه الدراسة بما أعلنه على الدنيا

من التوصل إلى التطابق التام بين الإشارات العلمية والتاريخية بالقرآن الكريم ، وبين العلوم والمعارف الحديثة ، بينما يتناقض الكثير مما جاء بالتوراة والإنجيل مع الحقائق والمنطق !

هذا الكتيب ! :

وهذا الكتيب هو نص محاضرة ألقاها الدكتور « موريس بوكاي » ، أمام معهد الكومنولث البريطاني في لندن حول « القرآن الكريم والعلم الحديث » ، لعلها تكون هادياً ومرشداً للباحثين عن الحق الذي جاء به الإسلام ، ونطقت به آيات كتابه العزيز !

منهجه في البحث :

نظراً لأن الإشارات العلمية المعجزة تنتشر في شتى سور القرآن بين دفتيه شاهداً حياً على صدقه !

ونظراً إلى أن القرآن قد نزل مفزقاً عبر ثلاثة وعشرين عاماً قبل الهجرة وبعدها ؛ فقد توزعت الإشارات العلمية بين السرر المكية والمدنية .

ونظراً إلى أنه ينبغي في دراسة مثل هذا ، جمع وتصنيف الآيات المتعلقة بكل موضوع على حدة !
نظراً إلى هذا كله يقول الباحث : فقد لجأت إلى تصنيف مبسط لهذه الموضوعات ..

بدأت فيه بموضوع : نشأة الكون وبيان ما جاء بآيات القرآن في هذا الصدد ، وعلاقته بالمفاهيم العلمية المعاصرة .

ثم صنفت مجموعات الآيات تباعاً في موضوعات :

- ١ - الفلك ..
- ٢ - الأرض ..
- ٣ - المملكة الحيوانية والنباتية ..

٤ - الإنسان ..

٥ - ثم موضوع التكاثر الإنسانى الذى أضفى عليه القرآن الكريم عناية خاصة .

وكان من الممكن تقسيم هذه الموضوعات إلى موضوعات فرعية أدق ، ولكنى اكتفيت بتقسيمى هذا المبسط .

ثم رأيت لتعام الفائدة أن أعقد بين آن آخر مقارنة بين النصوص القرآنية ، وبين ما جاء فى التوراة والأنجيل من منظور العلم الحديث ، وبخاصة فى موضوعات :

(ا) نشأة الكون .

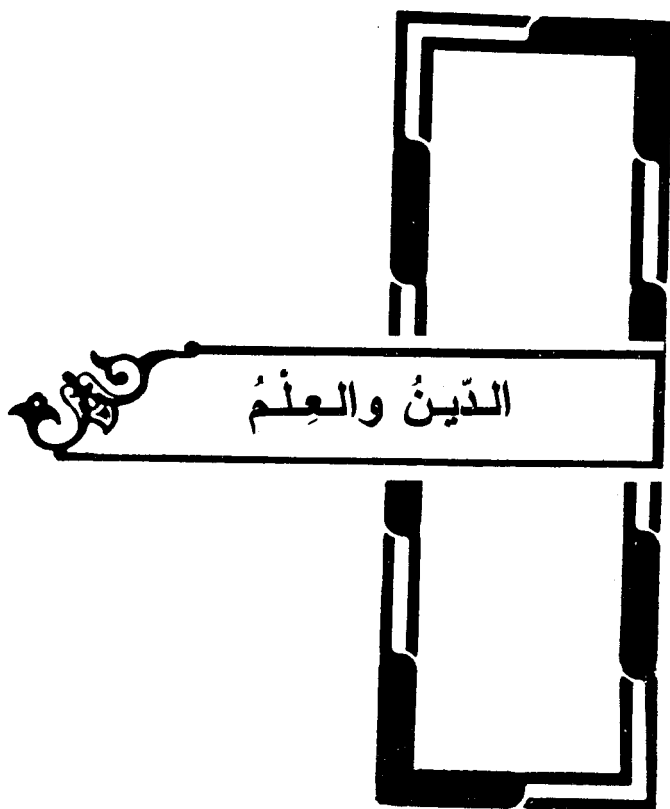
(ب) الطوفان .

(ج) خروج بنى إسرائيل .

وبعد .. فمن حَقِّك أيها القارئ عَليْنا أن
تواكب كل جديد نافع !
ومن واجِبنا أن نهَيِّء لك ذلك ، والله من
وراء القصد ،،

د : نبيل عبد السلام هارون





فى التاسع من نوفمبر سنة ١٩٧٦ م أُتيح لى
أن أقدم للأكاديمية الفرنسية محاضرةً فريدة فى
موضوعها حول : « علوم الأجنّة ووظائف الأعضاء
فى القرآن الكريم » .

تناولت فيها : بعض ما جاء بالقرآن الكريم من
« إشارات » تتصل بالتكاثر والفسولوجيا البشرية .

الدافع إلى إعداد هذه المحاضرة :

وقد دفعنى إلى إعداد هذه المحاضرة :
انبهارى بما جاء فى القرآن الكريم من إشارات
إلى معارف ومفاهيم لم يكتشفها العلم إلا فى العصر
الحديث .

والقرآن هو الكتاب الوحيد من نوعه بين أيدينا

الذى جاء بمعارف تسبق عصر تدوينه بقرون .
وقد دفعنى ذلك أيضاً إلى مقارنة النص القرآنى
بنصوص الكتاب المقدس : (العهد القديم
والجديد) المتعلقة بمثل هذه المعارف وتمخضت هذه
الدراسة عن إصدار كتابى : « القرآن الكريم
والتوراة والإنجيل والعلم » الذى صدرت طبعته
الأولى باللغة الفرنسية فى مايو سنة ١٩٧٦ عن دار
سيجلير بباريس ، ثم توالى ظهور طبعات إنجليزية
وعربية مترجمة .

العلم والدين توأمان فى الإسلام :

إن الدارس للإسلام يعرف أن العلم والدين فيه
توأمان ، حتى فى هذا العصر الذى قطع العلم فيه
أشواطاً تبدو مذهلة !

لم يصطدم الإسلام أبداً مع العلم ؛ بل على
العكس ألفت المعارف الحديثة أضواء جلت لنا معانى

القرآن ، وما فيه من روعة !

وفي هذا القرن الذى بدا فيه للغرب ، والعالم غير المسلم أن الحقائق والأفكار العلمية قد أجهزت على بقايا الفكر الدينى - كان الأمر فى العالم الإسلامى مختلفاً تماماً ، فقد ساعدت هذه الكشوف والحقائق العلمية ذاتها على إثبات ما فى رسالة الإسلام ، والنص القرآنى من إعجازٍ علمى يؤكد صدوره من قوى خارقة للطبيعة ؛ أى : من وحي الخالق الأعظم !

وعلى رغم كل التيارات والدعاوى الفكرية التى تخبطت فيها عقول البشر ؛ فإن المعارف العلمية لا بد أن تدفع العقل المحايد المتحرر من الأهواء إلى التأمل فى قضية الإيمان ؛ فكثير من البحوث فى ظواهر الطبيعة والحياة تؤدي بشكل تلقائى إلى تدبر المفاهيم الدينية !

مثل على ذلك :

ونضرب مثلاً لذلك بدراسات النظم الدقيقة
التي تحكم بداية الحياة ونشأتها وتطورها : فكلما
تعمقت الدراسة ، واتسعت المعارف أصبح من
العسير علمياً أن نتقبل فكرة « الصدفة » كتعليل
لتلك النظم !

ومما يبعث على الأسى والإشفاق - معاً - أن
ينادى عالم فرنسى حاصل على جائزة نوبل بأن
الخلايا الحية قد كونت نفسها ! فجأة باتحاد عناصرها
الكيميائية في ظروف مآ مواتية ، ثم تطورت هذه المادة
الحية ، بنفسها أيضاً - حتى وصلت إلى الإنسان
بكل ما فيه من أنظمة معقدة ، وتلك آراء لا يُقرها أى
تفكير سليم ؛ لأن الدراسة العلمية الجادة لبيولوجيا
الإنسان ، وغيره من الكائنات العليا ، إنما تؤدي إلى
النقيض من هذا الادعاء تماماً ؛ وتؤكد وجود إرادة

أسمى خارقة للطبيعة وراء خلق ونشأة وترتيب نظم
الحياة وخصائصها وسلوكها .

وسنرى فى هذه المحاضرة كيف تثبت لنا دراسة
القرآن هذه المفاهيم ، وبوضوح شديد !
كما سأركز - بصفة خاصة - على ما جاء
بالقرآن من حقائق علمية تتفق بمنتهى الدقة مع العلوم
الحديثة !

وهو موضوع يشكل نقطة جذب كبير
للدراستات العلمية المعاصرة !



القرآن والكشوف العلمية

ظل المغزى العلمى لكثير من آيات القرآن
الكريم غامضاً لقرون عدة قبل تطور أدوات البحث
والتحليل العلمى إلى ما صارت إليه فى هذا القرن
العشرين ؛ وما صحبه من تفرع المعارف إلى
تخصصات دقيقة !

واجب من يتصدى للتفسير العلمى للقرآن :

لقد أصبح واجباً على من يتصدى للتفسير
العلمى للقرآن أن يرجع إلى البحوث والدراسات
المتخصصة .

وأن يستند - على الأقل - إلى دائرة معارف
متسعة ، وأعنى بالمعارف العلمية هنا : ما أصبح فى
حكم الحقائق المؤكدة التى لا خلاف عليها ؛ فلا
يدخل فيها ما لم يتحقق بعد من نظريات قد يضعها

العلماء للتفسير المؤقت لظواهر محدودة ، قبل أن تنقضها ظواهر أو مفاهيم جديدة .

الاقتصار على المعارف العلمية المؤكدة :

وسأقتصر في « محاضرتي » هذه على الإشارة إلى ما جاء بالقرآن الكريم من معارف علمية مؤكدة تماماً .

وحيثما أشير إلى حقائق شبه مؤكدة ، أو آراء يُرجَّح إجماع العلماء صحتها ، وإن لم تتحقق نهائياً بالبحث التجريبي القاطع ، سأبين ذلك بكل وضوح ؛ ولن يتجاوز ذلك إشارة أو إشارتين مثل « نشأة الحياة في وسط مائي واحتمالات وجود الحياة في كواكب أخرى في الكون » .

حقيقة لا بد من أن نؤكد لها :

ينبغي أن نؤكد أولاً أن القرآن الكريم - قبل كل

شئ - كتاب هداية ، لم ينزله الله مصدراً للمعارف العلمية ، وإنما هو رسالة تستنهض العقل للتأمل في خلق الله ، ونواميس الطبيعة ، ليتعرف من خلالها على جلال القدرة الإلهية .

وفي خلال تدبر ذلك الكتاب يجد أولو العلم والبصيرة فيه من « الإشارات العلمية » المشرقة نفحاتٍ من الله تعالى ، تشدّ أزرهم في مواجهة دعاوى الإلحاد المادى المتهافنة ، وإن تسربلت بعباءة العلم .

التزام الأسلوب الموضوعى المجرد :

حاولت خلال دراستى هذه - وأظننى قد نجحت - التزام الأسلوب الموضوعى المجرد الذى يتبعه الطبيب عند فحص مريض جديد ؛ إذ يمحس كل أعراض المرض بعناية حتى يصل إلى التشخيص السليم .

وأصارحكم القول : أنى عندما بدأت الدراسة لم يكن لدى أدنى اقتناع بالإسلام ، وكلما مضيت في الدراسة ازداد اقتناعى حتى أتانى اليقين فى النهاية : أن هذا القرآن إن هو إلا وحى أوحاه الله إلى نبيه .

خطتى فى هذه الدراسة :

سأستعرض فى دراستى عبارات وردت فى القرآن ، تشير بوضوح إلى حقائق علمية كانت بعيدة تماماً عن إدراك أسلافنا ؛ الذين لم يتجاوز حظههم منها إدراك المعنى اللغوى الظاهرى - وإن أصبحت الآن من المعارف الأساسية ، ولو كان القرآن - جديلاً - نصّاً بشرياً لما نقل إلينا بهذه العبارات التى تتجاوز فهم الأسلاف ؛ ولعدّلوا وبدّلوا ألفاظها تبعاً لمفاهيمهم .

الله قد تكفل بحفظ القرآن :

ولكن الله - تعالى - قد تكفل بحفظ النص

القرآنى قرناً بعد قرن ، حتى يتبين للبشر يوماً بعد يوم المزيد من آيات التطابق بين التعبير القرآنى ، والمعارف الحديثة .

تنتشر هذه الإشارات العلمية المعجزة فى شتى سور القرآن بين دفتيه شاهداً حياً على صدقه .
ولما كان القرآن قد نزل مفزقاً عبر ثلاثة وعشرين عاماً قبل وبعد الهجرة من مكة إلى المدينة ، فقد توزعت الإشارات العلمية أيضاً بين السور المكية والمدنية .

ولما كان من الضرورى فى دراسة مثل هذه جمع وتصنيف الآيات المتعلقة بكل موضوع على حدة ؛ فقد لجأت إلى تصنيف مبسط لهذه الموضوعات بدأت فيه بموضوع نشأة الكون ، وبيان ما جاء بآيات القرآن الكريم فى هذا الصدد ، وعلاقته بالمفاهيم العلمية المعاصرة .

ثم صنفت مجموعات الآيات تبعاً في
موضوعات : الفلك ، الأرض ، المملكة الحيوانية
والنباتية ، الإنسان ، ثم موضوع التكاثر الإنساني
الذي أضفى عليه القرآن الكريم عناية خاصة .

وكان من الممكن تقسيم هذه الموضوعات إلى
موضوعات فرعية أدق ، ولكنني اكتفيت بتقسيمي
هذا المبسط .

عقد مقارنة بين النصوص :

ثم رأيت لتمام الفائدة أن أعقد من آن لآخر
مقارنة بين النصوص القرآنية ، وبين ما جاء في التوراة
والإنجيل من منظور العلم الحديث ، وبخاصة
موضوعات نشأة الكون والطوفان وخروج بني
إسرائيل .

في نشأة الكون :

عندما نحلل مفهوم نشأة الكون في القرآن الكريم
يتبين لنا لأول وهلة مدى التباين بين ذلك المفهوم ،
وبين ما جاء بالكتب السماوية الأخرى .

إدعاءات مضللة :

وهذه النتيجة في - حد ذاتها - تنفى تماماً
الادعاءات المضللة لمؤلفين غربيين عن التشابه بين
القرآن الكريم ، والكتب السابقة ، واتهامهم لمحمد -
عليه السلام - باقتباس القرآن الكريم من التوراة والإنجيل .

كذب تلك الإدعاءات :

وللتحقق من كذب هذا الإدعاء تكفى مقارنة
ما جاء بالتوراة من أن الله قد خلق الكون في الستة
أيام ثم استراح ! في اليوم « السابع »^(١) - بالنص

(١) في سفر التكوين : « وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى
عمل ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل »
(٢ / ٣) المترجم .

القرآنى الحكيم : ﴿ إن ربكم الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يَغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ [سورة الأعراف : الآية ٥٤]

إيضاح :

وينبغى أن نوضح هنا ما أكده المفسرون المعاصرون من أن المقصود بـ « الأيام » هنا ليس : واحداً اليوم الأرضى المعروف (٢٤ ساعة) ؛ بل هو المراحل والدهور^(١).

وأهم من ذلك - فى نظرى - عند مقارنة

(١) يؤكد ذلك ما جاء فى القرآن الكريم صراحة فى الآيتين :

(١) ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾

[الحج : ٤٧]

(ب) ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره

خمسين ألف سنة ﴾ [الأعراف : ٤] المترجم .

القرآن بغيره من الكتب السماوية أنه لم يُصِرَّ على ترتيب معين لخلق الأرض قبل السموات^(١)؛ كما جاء بالكتب الأخرى؛ بل إن النصوص القرآنية في مجموعها تدل على تزامن نشأة الأرض، ونشأة السموات؛ فأحياناً يذكر لفظ «السماء، أو السموات» قبل لفظ «الأرض» وأحياناً بعدها في الإشارات القرآنية لنشأة الكون^(٢)؛ مثل ما جاء في «سورة طه» ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه : ٤]

وما جاء بسورة الزمر : ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الزمر : ٥]

(١) انظر الفقرة الأخيرة في هذا الموضوع .

(٢) ويقول النحويون : إن «الواو» العاطفة لا تفيد ترتيماً ولا تعقياً كما في قوله تعالى : ﴿وَاسْجُدْ وَارْكَعْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران : ٤٣] والركوع قبل السجود .

إشارة إلى مفهوم أساسى فى خلق الكون :

من ناحية أخرى يشير القرآن إلى مفهوم أساسى فى « نشأة الكون » هو : نشأته من دُحَان ، وابتدأؤه من جسم واحد متصل : (رَتْق) انفصل بعد ذلك إلى أجزاء (انفتاق) وهو ما تشير إليه الآية الكريمة من سورة فُصِّلَتْ : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ... ﴾ [فصلت : ١١] مع الآية التالية من سورة الأنبياء : ﴿ أُولَٰمِ يَرِ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ . [الأنبياء : ٣٠]

وقد أدى ذلك الانفصال إلى نشأة العديد من العوالم المختلفة ﴿ العالمين ﴾ كما يتكرر ذكرها بهذا اللفظ مراراً مثلما جاء بفتحة الكتاب : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

[الفتحة : ٢]

اتفاق مع المفهوم السائد :

ويتفق ذلك كله مع المفهوم السائد : ألا وهو وجود كتلة دخانية أولية واحدة ، ثم انفصالها إلى المجرات ، ثم إلى النجوم ، ثم نشأة الكواكب بانفصالها عن النجوم .

كما يشير القرآن إلى خلق يتوسط السموات والأرض كما جاء في سورة الفرقان : ﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما﴾ [الفرقان : ٥٩]
ويبدو لي أن هذا الخلق بينهما قد يشير إلى ما اكتشف مؤخراً من كتل مادية تسبح في مسارات لا تنتمي إلى أى من الأفلاك المعروفة .

خلاصة هذا البحث :

وفي النهاية يبين لنا هذا العرض : مدى اتفاق المعارف الحديثة وما جاء بالقرآن الكريم ، وكلاهما بدوره يختلف تماماً عما جاء بالتوراة والإنجيل من

مراحل الخلق^(١)، وخاصة ما ذكر فيهما عن خلق الأرض في اليوم الثالث قبل خلق السموات في اليوم الرابع ، على عكس ما نعرفه من « أن الأرض قد نشأت بالانفصال عن الشمس » ؛ فكيف بالله عليكم يستقيم الادعاء : أن محمداً - ﷺ - قد استقى معارفه من تلك الكتب « السماوية » مع ما نعرفه الآن : أن القرآن قد جاء ليصحح ويعدل ما جاء بتلك الكتب ؛ ليصبح مطابقاً للمفاهيم الصحيحة التي ما اكتشفت إلا بعد عصره بقرون ؟!



(١) انظر النص المذكور بعد بالهامش تحت عنوان : القرآن في مقابل الكتاب المقدس ، وهو ما جاء في الإصحاح الأول من سفر التكوين . « في البدء خلق الله السموات والأرض .. الخ » .



فى الفلك والضوء والحركة

مغالطة يقع فيها الكثيرون من كتاب الغرب :

ثُمَّ مغالطة يقع فيها الكثير من كُتّاب الغرب في تعليقهم على ما جاء بالقرآن من إشارات صحيحة في مجال الفلك ؛ إذ لا يجدون ثمة غرابة في ذلك ، وكأن العرب كانوا دوماً أهل دراية بعلوم الفلك !

ويتجاهلون أن « علوم الفلك » لم تتطور إلا على أيدي العلماء المسلمين بعد نزول القرآن بعشرات السنين !

وحتى في أوج الحضارة الإسلامية ، لم تصل المعارف الفلكية إلى الحد الذي يفسر ما أشار إليه القرآن من حقائق فلكية لم تكتشف إلا في العصر الحديث !

المفاهيم الفلكية في القرآن :

« المفاهيم الفلكية في القرآن » موضوع لا يقل

اتساعاً عن سابقه : « نشأة الكون » وسأكتفى هنا ببعض نماذج للإشارات القرآنية ، وأبدأ بوصف « القرآن الكريم » لكل من الشمس والقمر ؛ فبينما لا تميز نصوص التوراة بين صفات الشمس والقمر إلا من ناحية الحجم^(١)، فإن القرآن يسميها بصفات مميزة : القمر جسم منير (نور) فحسب ، بينما الشمس هي السراج الباعث للضوء .
 أى أن القمر جسم بارد يعكس الضوء الذى يتلقاه من الشمس المتوهجة ، مصداقاً لما تؤكدُه المعارف الحديثة^(٢).

نموذج آخر للإشارات القرآنية :

-
- (١) جاء في سفر التكوين : « فعمل الله النورين العظيمين : النور الأكبر لحكم النهار ، والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم » (١ / ١٧) . المترجم .
 (٢) تأمل الآيات القرآنية : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء =

وفي مثال آخر يوصف النجم بكلمة
« ثاقب »^(١) أى الذى يحترق ويستهلك تدريجياً فى
ظلام الكون .

ومن ناحية أخرى يشير القرآن إلى
« الكواكب » بلفظ مستقل^(٢)، كأجسام فلكية
ذات طبيعة محددة ؛ لا يخلط بينها وبين النجوم (إذ
لا تصدر بل تعكس الضوء كالقمر) .
كما يميزها عن الأقمار (التابعة للأرض أو
غيرها) .

= بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ﴿ [الفرقان : ٦١]
﴿ وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجاً ﴾ [نوح :
١٦] .

(١) يقصد آيات سورة الطارق : ﴿ والسماء والطارق وما
أدراك ما الطارق النجم الثاقب ﴾
(٢) فى قوله تعالى : ﴿ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴾
[الصافات : ٦] (المترجم) .

تطابق العلم الحديث مع نصوص القرآن بشأن حركة الأجرام السماوية :

ثم يشير العلم الحديث إلى حركة الأجرام السماوية في أفلاك محددة ، واتزان بعضها مع بعض طبقاً لقوى الجاذبية التي تحددها - بدورها - الكتل والسرعات ، ويتطابق ذلك تماماً مع نصوص القرآن الكريم ، وعباراته الدقيقة التي لم يُدرك البشر مغزاها قبل المفاهيم الحديثة ، مثل ما جاء في سورة الأنبياء :

﴿ وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر
كل فى فلك يسبحون ﴾ [الأنبياء : ٣٣]

ونلاحظ : أن حركة الأجرام يشار إليها بالفعل « سبح » الذى يشير لا إلى الحركة فى الماء فحسب ، بل إلى نوع من الحركة الذاتية^(١).

(١) جاء فى المعجم الوسيط : سبح بالنهر : عام ، وسبح الفرس : مدّ يديه فى الجرى ، وسبحت النجوم : جرت فى الفلك ، وسبح فلان فى الأرض : تباعد . (المترجم) .

تعاقب الليل والنهار :

أما تعاقب الليل والنهار فليس ثمّة جديد في مجرد الإشارة إليهما ، ولكن الجديد والمثير هو التعبير القرآني المستخدم في « سورة الزمر »^(١) وهو « التكوير » الذي يشير إلى لَفّ وتدوير الليل حول النهار ، والنهار حول الليل .

والفعل « كَوَّر » لغةً يعنى لَفّ العمامة حول رأسه ، وهو تشبيه في غاية الدقة (إذ يشير إلى كروية الأرض ، وإلى دورانها حول نفسها في نفس الوقت - المترجم) وقد مرت قرون وقرون بعد نزول القرآن قبل أن تعرف البشرية شيئاً من هذه الحقائق الكونية .

(١) حيث يقول سبحانه : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُوِّرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ ... ﴾ [الزمر : ٥]
المترجم .

إشارات قرآنية أخرى :

وبالقرآن إشارات أخرى إلى :

« ١ » نشأة السموات^(١) ووصفها^(٢).

« ب » وإلى إتجاه الشمس المستمر نحو إتجاه محدد
« مُسْتَقَرَّ »^(٣).

« ج » وما إلى ذلك مما يتفق مع أدق المفاهيم
الحديثة ، كما يبدو أن القرآن قد ألمح أيضاً إلى

(١) انظر موضوع نشأة الكون .

(٢) مثل وصفها بأنها طبقات في قوله سبحانه : ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقاً ﴾ [الملك : ٣] ووصفها بأنها مليئة بالشهب في قوله : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ﴾ [الجن : ٨] وأنها تعكس ما يصلها من موجات كهرومغناطيسية وبخار الماء (المطر) في قوله سبحانه : ﴿ والسماء ذات الرجع ﴾ [الطارق : ١١] إلى غير ذلك من الإشارات المعجزة .

(٣) في آية يس : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ [يس : ٣٨] .

الاتّساع المستمر للكون^(١).

غزو الفضاء :

أما عن غزو الفضاء الذى تحقق حديثاً بفضل التقدم التكنولوجى حيث نزل الإنسان لأول مرة على سطح القمر^(٢)، فقد أشار إليه القرآن فى سورة الرحمن: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ [الرحمن : ٣٣]

والسلطان هنا هو : كل ما يؤتيه الله سبحانه وتعالى عباده من قدرات وطاقات .
و« سورة الرحمن » بأكملها تدعو إلى التأمل فى نعم الله على عباده .

(١) فى قوله تعالى : ﴿والسمااء بيناها بأيدي وإنا لموسعون﴾ [الذاريات : ٤٧] المترجم .
(٢) وانطلق المكوك والمعامل الفضائية .



فى الأرض وعلوم الحياة

نعود الآن إلى « كوكبنا » الأرض لتأمل هذه الآية من سورة الزمر !

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض ثم يُخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ﴾ [الزمر : ٢١]

إلام تشير هذه الآية ؟

تشير هذه الآية إلى « دورة المياه الجوفية » كما يعرفها القارىء المثقف في القرن العشرين الميلادى ؛ ولكننا يجب ألا ننسى أن البشرية لم تعرف شيئاً عن طبيعة « دورة المياه الجوفية » قبل اكتشافها على يد « برنارد باليسى » من القرن السادس عشر لتحل محل النظريات البالية من عهد أفلاطون التى تفترض : أن الرياح تدفع المياه إلى باطن القارات لتعود إلى المحيطات من جديد خلال « الأخدود » الكبير الذى

كان يطلق عليه أيضاً « البرزخ » .

ديكارت يردد نظرية أرسطو :

بل إن مفكراً مرموقاً مثل « ديكارت » في القرن السابع عشر وغيره من المفكرين - حتى القرن التاسع عشر - ما فتىء يردد نظرية « أرسطو » التى تفترض أن المياه تتكثف فى مغارات باردة داخل الجبال ، ثم تتجمع فى بحيرات جوفية تنطلق منها العيون !

علم الهيدرولوجيا الحديث ودورة المياه :

وقد أثبت علم الهيدرولوجيا الحديث : أن دورة المياه الجوفية إنما تتم خلال عمليات تشرب التربة المسامية بالمياه ، ثم تتسرب منها إلى باطن الأرض ، وهو ما ينطبق تماماً على التعبير القرآنى ﴿ فسلكه ينابيع

[الزمر : ٢١]

فى الأرض ﴿

كيفية تكون الجبال :

يفسر لنا علم الجيولوجيا كيفية تكون الجبال بفضل ظاهرة « الطّي » ؛ حيث تبرز الجبال إلى الخارج لتمتص الإجهادات الناشئة عن اختلاف القشرة الأرضية (الصلبة) عن السائل (المنصهر) الذى لا يصلح لحياة حيوان أو نبات .

ومن هنا تتوازن القشرة مع القلب ، وتستقر الجبال فى مواضعها بفضل « الطيات » التى تمتد كأساسات عميقة داخل الأرض .

ولنقارن هذه المفاهيم بالعديد من آيات القرآن التى تتحدث عن الجبال^(١)؛ مثل هذه الآية من « سورة النبأ » التى يقول الله فيها : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ

(١) تأمل قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [النحل : ١٥] . وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ [الأنبياء : ٣١] وقوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [لقمان : ١٠] - المترجم .

الأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ [النبا : ٦ - ٧]
والأوتاد هي : ما يُدَقُّ في الأرض لتثبيت الخيمة
ونحوها ، مما يتفق تماماً مع تثبيت الجبال في الأرض
بفعل الطيات العميقة الممتدة .

نماذج التطابق السابقة والآيات المتعلقة بعلوم الحياة :

في كل الأمثلة السابقة نماذج للتطابق بين النص
القرآني ، وبين دقائق العلم الحديث دون أدنى تباين
أو اختلاف !

ولكن أكثر ما هزنى - منذ بدأت هذه
الدراسة - هو تلك الآيات المتعلقة بعلوم الحياة ،
سواء : المملكة الحيوانية ، أو النباتية ، خاصة تلك
المتعلقة بالتكاثر !

وأؤكد - ثانية - أن العديد مما جاء بتلك
الآيات لم يكن إطلاقاً في متناول الفهم ، أو التفسير

المراد ؛ قبل التقدم العلمى الحديث .
 كما أن كثيراً مما فهم الأقدمون شيئاً عنه جاء
 العلم الحديث ليسلط الضوء على مناحى أخرى تؤكد
 صدق الآيات القرآنية ، ويتضح ذلك تماماً في
 شطر آية الأنبياء التى يقول الله فيها : ﴿ وجعلنا من
 الماء كل شيء حى أفلا يؤمنون ﴾ [الأنبياء : ٣٠]
 فهذه الآية الكريمة تؤكد المفهوم الحديث الذى
 يقول : إن الحياة قد نشأت - بشكل ما - في وسط
 مائى^(١).

ناحية أخرى تثير العجب في علم النبات :

ومن ناحية أخرى لم تصل معارف البشر على
 عهد محمد - ﷺ - إلى الحد الذى يؤكد -

(١) نشأة الحياة من الأمور التى ظلت - وربما ستظل - من أمور
 الغيب أما المغزى الأقرب والمؤكد لإعجاز الآية فهو أن كل صور
 الحياة النباتية والحيوانية ، وكل العمليات الفسيولوجية تتم في وسط
 مائى . (المترجم) .

ما أصبح قاعدة في علم النبات - « أن كل النباتات لها أعضاء تذكير ، وأعضاء تأنيث ! » بينما تقرأ في سورة طه : ﴿ وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى ﴾ [طه : ٥٣] وقد ثبت لدينا الآن : أن كل الثمار تنشأ عن نباتات لها خصائص جنسية زوجية (حتى في حالة الموز الذي ينمو من زهرة غير ملقحة) ولنقرأ أيضاً في سورة الرعد : ﴿ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴾

[الرعد : ٣]

عالم الحيوان :

أما عالم الحيوان فيتشابه كثيراً مع الطب البشرى ، ولنستعرض أولاً نموذجاً للدقة العلمية لآيات القرآن التي تتناول جانباً من « فسيولوجيا » تكوين الألبان في ضروع المواشي ؛ ففي سورة النحل نقرأ : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في

بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً
للشاربين ﴿﴾ [النحل : ٦٦]

آية لها شأنها :

ولهذه الآية في نظرى شأن كبير ؛ فقد نزلت
قبل اكتشاف الدورة الدموية بألف عام على الأقل ،
وكذلك قبل ثلاثة عشر قرناً من اكتشاف
« عمليات التمثيل الغذائى » فى الأمعاء التى تمتص
جدرها نواتج الهضم لتنقلها إلى سائر الأعضاء .

نزلت هذه الآية لتتحدث بدقة تامة عن تكوين
اللبن فى الضروع بما يتفق مع النظريات الحديثة !
ومن العسير تماماً أن نفهم الآية حق فهمها دون
إلمام بالتفاعلات الكيميائية داخل الأمعاء ؛ والتى
يعقبها امتصاص المواد النافعة بالغذاء المهضوم إلى
الأوعية الدموية بنظام معقد محكم يمر بعضه بالكبد ،
ثم ينقل الدم هذه المواد إلى الأعضاء - كل فيما

يُخصه - بما فيها الغدد اللبنية بالضرع ، أى أن العملية تتلخص باختصار شديد فى انتقال مكونات معينة من أمعاء الأنعام إلى الأوعية الدموية (بجدار الأمعاء) ، ومنها إلى مجرى الدم ، ثم إلى الضرع ، وهو ما يتفق تماماً مع نص الآية الكريمة !





فى خُلُق الإنسان !

خلق الإنسان فى القرآن وعلماء الأجنة :

عندما يتحدث القرآن عن نشأة الجنين يأتى بآيات لا يُحسِنُ تفسيرها إلا علماء الأجنة ؛ ولم يكن ذلك متيسراً للأقدمين قبل تطور « علوم البيولوجيا » ؛ وخاصة قبل اختراع المجاهر (الميكروسكوبات) ، ويستحيل أن يأتى رجل فى القرن السابع الميلادى بهذه الآيات إلا بوحى فوق مستوى البشر ؛ إذ لم تعرف البشرية - لا فى بلاد العرب ، ولا الشرق الأوسط ، ولا أوروبا حينئذ - شيئاً من هذه المعارف .

ومن حسن حظ العلماء المعاصرين الذين جمعوا بين فهم القرآن والدراية بالعلوم الحديثة أن يلمسوا بوضوح مدى التطابق بين النص القرآنى والمعارف الحديثة .

تعليق لا يُنسى ! :

ولا أنسى تعليقاً لشابٍّ مسلم في الثانية عشرة من عمره ، نشأ في السعودية - تعليقاً على ما جاء في القرآن حول « الحمل والولادة » حيث قال : « إننا نجد في هذا القرآن - كما تعلمنا في مدارسنا - مصدراً للمعارف الأساسية حول الحمل والولادة بدقة ووضوح لا تصل إليها المناهج الغربية المتقدمة » .

موضوع الحمل والولادة يُبرز مدى التباين بين دقة المفاهيم القرآنية والأساطير والخرافات :

وموضوع الحمل والولادة - بالذات - يُبرز لنا مدى التباين بين دقة المفاهيم العلمية بالقرآن الكريم ، وبين الأساطير والخرافات السائدة وقت نزول القرآن ، وبعده بكثير^(١)، مما يبعث على الانبهار

بالقرآن لاتفاقه مع العلوم الحديثة ، ولخلوه من أى
شائبة من الأفكار السائدة وقت التنزيل .

طبيعة السائل المنوى :

وسنخص بالشرح موضوع « طبيعة السائل
المنوى » وما نعرفه الآن من أن الحمل يبدأ بنقطة
صغيرة (نقطة) متناهية الصغر من كل السائل
المنوى ، لتبدأ منه السلالة !!

ثم يشير القرآن بعد ذلك إلى تعلق بويضة الأنثى
المخصبة بجدار الرحم باللفظ الدقيق « العلق أو
العلقة » فى آيات عدة أشهرها : آية سورة العلق :
﴿ خلق الإنسان من علق ﴾ [العلق : ٢]

دقة اللفظ القرآنى فى وصف وضع الجنين :

(١) حتى يومنا هذا فى بعض المجتمعات . (المترجم) .

ولا أعتقد أن ثمة لفظ أدق من هذه الكلمة في وصف وضع الجنين داخل الرحم بإيجاز بليغ ، ووصف دقيق ، وكلمات واضحة ، ينطبق كل منها على مرحلة من مراحل نمو الجنين ؛ مثلما نجد في « سورة المؤمنون » : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مِضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمِضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] ولفظ المِضْغَةُ : يعبر تماماً عن شكل الجنين في إحدى المراحل ، وفي مرحلة تالية تبدأ العظام في التشكل من داخل المِضْغَةُ قبل أن تكسوها العضلات (اللحم) تدريجياً .

وخلال نمو الجنين يمر بمرحلة تبدو فيها بعض الأعضاء ، وقد اتخذت شكلها النهائي ، بينما لم تتضح بقية معالم الجنين بعد ، ولعل هذا هو المقصود بعبارة « مُخَلَّقة وغير مُخَلَّقة » في سورة الحج حيث يقول

ربنا سبحانه : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ
ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ [الحج :

[٥]

الإشارة إلى خلق الحواس والأعضاء :

وأخيراً نجد الإشارة إلى خلق الحواس والأعضاء
كما جاء في سورة السجدة ، حيث يقول ربنا جل
وعلا : ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ^(١) وَالْأَفْئِدَةَ
قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٩] وفي كل هذه
الآيات التي عرضناها لا نجد ثمة ما يتعارض مع العلم
الحديث ؛ كما لا نجد أثراً للمفاهيم البشرية الخاطئة !

(١) يلاحظ العلماء المعاصرون تقديم السمع على الأبصار في هذه
الآية والعديد من الآيات القرآنية ، ولذلك أيضاً مغزى علمي دقيق
من حيث يسبق السمع البصر عند الأطفال حديثي الولادة ، وبقاء
السمع في النوم واليقظة ، وأهمية السمع على البصر في التلقى
والتخاطب . [المترجم] .

القرآن
في مقابل الكتاب المقدس

تعالوا أخيراً نعقد مقارنة بين النصوص القرآنية ونصوص الكتاب المقدس ، وقد تناولنا لمحة من ذلك فى معرض الحديث عن نشأة الكون ؛ حيث ظهر بجلاء مدى تطابق النص القرآنى مع المعارف الحديثة على عكس مقولات الكتاب المقدس ، والتي نعرف جميعاً أنها من وضع مجامع القسوس حتى القرن السادس بعد الميلاد ، ومن ثم نسبتها إلى ما يسمى المجامع المسكونية .

ولم يهتم واضعوها إلا بتقديم الموعظة ، وبهدف محدد هو : الدعوة إلى مراعاة الواجبات الدينية .

وكان هذا الوضع ، أو التأليف - من وجهة نظر الواضعين - هدفاً مشروعاً تماماً ؛ على حدّ قول الأب دى فو المدير السابق لمعهد الكتاب المقدس بالقدس ، ويضم الكتاب المقدس أيضاً فقرات قصيرة

أخرى عن « نشأة الكون » فيما يسمى بالنص
اليهودى ، الذى يتناول الموضوع من زاوية أخرى
تماماً ، وكلا النصين مأخوذ من سفر التكوين ، أى
ما يسمى بالأسفار الخمسة ، العهد القديم
(التوراة) ، والتى يفترض أنها جاءت على لسان
موسى - عليه السلام - إلا أنه من المعروف أن هذه
النصوص قد حُرِفَتْ كثيراً قبل أن تصل إلينا بصورتها
الراهنة !

أبرز ما جاء فى نصوص المجامع هذه فى سفر التكوين :

ومن أبرز ما جاء فى نصوص المجامع هذه فى
سفر التكوين : السرد التاريخى لنسل آدم ، وهو سرد
أصبح لا يُعتدُّ به من وجهتى النظر : العلمية
والتاريخية .

وقد نقل كل من (متى ، ود لوقا) في إنجيلهما

هذا السرد عند الحديث عن نسب عيسى - عليه السلام - :

أحدهما - ابتداء من آدم (إنجيل لوقا) .

والآخر - ابتداء من إبراهيم (إنجيل متى) .

وقد أثبت العلم الخطأ الفادح في هذه النصوص

فيما ذكرته عن تاريخ بدء الحياة على الأرض ، ثم

تاريخ ظهور الإنسان بما يتناقض تماماً مع ما أكدته العلم

الحديث من تقديرات، بينما سلم النص القرآني تماماً من

هذه الأخطاء والتناقضات .

عمر الحياة على الأرض :

أما بالنسبة لعمر الحياة على الأرض ، فإن التقويم

اليهودي المستنتج من سلسلة نسب آدم بالكتاب

المقدس - يفترض أن عمر الأرض في يومنا هذا

حوالى ٥٧٣٨ عاماً ؛ وهو تقدير يتناقض مع الحقائق العلمية المؤكدة ، والتي تقدر عمر المجموعة الشمسية بأكثر من أربعة بلايين عام ، واكتشاف آثار لوجود الإنسان على الأرض منذ عشرات الآلاف من السنين ، وهنا يتبين لنا من جديد سلامة النص القرآنى من أى إدعاءات تتناقض مع العلم والتاريخ !

اتفاق القرآن مع المفاهيم الحديثة وتناقض غيره من النصوص معها :

وقد رأينا إلى أى مدى يتفق القرآن مع المفاهيم الحديثة فى نشأة الكون ، بينما تتناقض نصوص الكتاب المقدس مع العلم ، وخاصة عندما تتحدث عن بدء خلق السموات والأرض بظهور الماء ، ثم عن خلق « النور » فى اليوم الأول ، قبل خلق النجوم (مصدر هذا النور) فى اليوم الرابع ، ثم عن خلق الليل والنهار ، قبل خلق الأرض (التى يتعاقبان

عليها) في اليوم الثالث ، وكذلك عن خلق الأرض
في اليوم الرابع ، وعن ظهور الوحوش على الأرض
في اليوم السادس ، بعد ظهور الطيور في السماء في
اليوم الخامس (وهو عكس الترتيب المفهوم)^(١).

(١) من العهد القديم - سفر التكوين - الإصحاح الأول : « في
البدء خلق الله السموات والأرض . وكانت الأرض خربة وخالية
وعلى وجه العمى ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه . وقال الله
ليكن نور فكان نور . ورأى الله النور أنه حسن . وفصل الله بين
النور والظلمة . ودعا الله النور نهراً والظلمة دعاها ليلاً . وكان
مساء وكان صباح يوماً واحداً .

وقال الله ليكن جلد في وسط المياه . وليكن فاصلاً بين مياه
ومياه . فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي
فوق الجلد . وكان كذلك . ودعا الله الجلد سماء . وكان مساء وكان
صباح يوماً ثانياً .

وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر
اليابسة . وكان كذلك . ودعا الله اليابسة أرضاً . وجمع المياه دعاها
بحاراً . ورأى الله ذلك أنه حسن . وقال الله لتنبث الأرض عشباً
وبقلاً يزر بزرّاً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه يزره فيه على الأرض .
وكان كذلك فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً يزر بزرّاً كجنسه وشجراً =

= يعمل ثمراً بزره فيه كجنسه . ورأى الله ذلك أنه حسن . وكان مساء
وكان صباح يوماً ثالثاً .

وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل .
وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين . وتكون أنواراً في جلد السماء
لتنير على الأرض . وكان كذلك . فعمل الله التورين العظيمين .
النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل . والنجوم .
وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض . ولتحكم على النهار
والليل ولتفصل بين النور والظلمة . ورأى الله ذلك أنه حسن .
وكان مساء وكان صباح يوماً رابعاً .

وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق
الأرض على وجه جلد السماء . فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات
الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذى
جناح كجنسه . ورأى الله ذلك أنه حسن . وباركها الله قائلاً أثمرى
وأكثرى وإملأى المياه في البحار . وليكثر الطير على الأرض . وكان مساء
وكان صباح يوماً خامساً .

وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها . بهائم
ودبابات ووحوش أرض كأجناسها . وكان كذلك . فعمل الله
وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض
كأجناسها . ورأى الله ذلك أنه حسن . وقال الله نعمل الإنسان
على صورتنا كشبهنا . فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء =

إلام ترجع هذه التناقضات ؟

وترجع هذه التناقضات إلى أن هذه المقولات إنما تمثل حصيلة الأفكار البشرية السائدة في القرن السادس الميلادى

= الأرض . فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه .
ذكراً وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم أنمروا وأكثروا واملأوا
الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى
كل حيوان يدب على الأرض . وقال الله إني قد أعطيتكم كل بقل
ييزر بزرراً على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر ييزر بزرراً .
لكم يكون طعاماً . ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل
دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاماً .
وكان كذلك .

ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً وكان مساء وكان
صباح يوماً سادساً .

وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على



قصة الطوفان

ويظهر التباين بشدة بين النصوص القرآنية
والكتاب المقدس في موضوع : الطوفان ؛ حيث
جاءت رواية الكتاب المقدس عن روايتين مختلفتين ؛
وتشير إلى أن الطوفان قد عم العالم بأسره^(١)، قبل
عهد إبراهيم - عليه السلام - بحوالى ثلاثمائة عام ؛
أى حوالى القرن الحادى أو الثانى والعشرين قبل
الميلاد !

وفى ذلك تناقض صارخ مع الحقائق التاريخية ؛
إذ كيف نتخيل غرق حضارات العالم بأسره فى ذلك
العصر الذى يناظر عصر ما قبل المملكة الوسطى
بمصر ، أى بين الأسرتين : العاشرة والحادية عشرة .
من هنا فإن المعارف الحديثة ترفض قبول ما جاء

(١) جاء فى سفر التكوين : « فها أنا آتٍ بطوفان الماء على الأرض
لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء » (٦ / ١٨)
ثم : « فمحي الله كل قائم كان على وجه الأرض : الناس والبهائم
والدبابات وطيور السماء » (٧ / ٣٤) المترجم .

بالكتاب المقدس ؛ بينما نلمس صدق القرآن الكريم
الذى يقرر أن الطوفان كان مقصوراً على قوم نوح -
عليه السلام - عقاباً لهم على ما ارتكبوه من إصرار
على الكفر والمعاصي ؛ شأنهم في ذلك شأن غيرهم
من الأمم في مناسبات أخرى !

ولم يذكر القرآن تاريخاً محدداً لحدوث الطوفان
سوى أنه كان في عهد نوح - عليه السلام - وليس
فيه ثمة ما يتعارض مع الدراسات التاريخية والأثرية .
**قصة سيدنا موسى - عليه السلام - ووقائع
خروجه من مصر :**

نتطرق بعد ذلك لقصة سيدنا موسى - عليه
السلام - وخاصة وقائع خروجه مع بنى إسرائيل من
مصر هرباً من بطش فرعون .

وألخص بسرعة ما جاء في كتابي^(١) حول هذا
الموضوع حيث حدّدت - بشيء من التفصيل -

(١) « القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم » موريس بوكاي .

نقاط الاتفاق ، ونقاط الاختلاف بين القرآن الكريم ،
والكتاب المقدس .

وبينت أن في هذه القصة نوعاً من التكامل في
التفاصيل بين ما جاء بالكتابين .

وقد ناقشت الآراء المختلفة حول « فرعون
الخروج » والتي رجحت بشدة : أن خروج
موسى - عليه السلام - وبنى إسرائيل ، كان في عهد
« الملك منفتاح » خليفة « رمسيس الثانى » .

ويؤكد ذلك مضاهاة النصوص التاريخية بالآثار
الفرعونية وتتفق هذه الأفكار مع ما جاء بالتوراة من
نصوص تدل على أن موسى - عليه السلام - قد ولد
في عهد « رمسيس الثانى » الذى مات إبان حياة
موسى - عليه السلام - بمصر ، وبالتالي فإنه يمكن
الاعتداد برواية التوراة في هذا الجزء من تاريخ
موسى - عليه السلام - .

الفحص الطبى لمومياء منفتاح :

ومن ناحية أخرى فإن الفحص الطبى لمومياء منفتاح يلقى مزيداً من الضوء حول ملابسات موت ذلك الفرعون ، وقد بقيت هذه المومياء حتى يومنا هذا شاهداً تاريخياً هاماً - منذ اكتشافها عام ١٨٩٨ م .

وقد قطعت الدراسات الطبية باستحالة بقاء^(١) جثة ذلك الفرعون فى الماء مدة طويلة قبل تحنيطها ، وهذا دليل على مدى الاتفاق بين ما جاء بالقرآن الكريم ، وبين المعارف الحديثة ، فقد تعرض القرآن الكريم لمصير جثمان فرعون حيث أكد بقاءها وحفظها - رغم غرقه - لتكون عبرة للأجيال كما جاء فى سورة يونس : ﴿ فاليوم ننجيكَ ببدنك ﴾

(١) لم تكن البشرية وقت نزول القرآن الكريم تعرف شيئاً عن قيام القدماء المصريين بتحنيط الجثث ، وبالتالي عن أى احتمال لبقاء جثث سليمة وذلك أيضاً من إعجاز القرآن الكريم . (المترجم) .

لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا
لغافلون ﴿ [يونس : ٩٢] أما الكتاب المقدس ، فقد
أكد غرق فرعون أثناء مطاردته موسى دون التعرض
لمصير جثثانه^(١).

إلام ترجع تلك التناقضات ؟

ترجع التناقضات بين الكتاب المقدس بعهديه :
القديم والجديد في جانب ، وبين القرآن والعلم
الحديث في الجانب الآخر إلى التباين في المصدر ،
وملابسات التدوين لكلا الكتابين ؛ فبينما يضم العهد
القديم مجموعات من تراث الأدب الشعبي والديني
والتاريخي لبنى إسرائيل ، وضعه وعدله البشر طوال
تسعة قرون ، كما يضم العهد الجديد الأناجيل الأربعة
التي وضعها : متى ولوقا ومرقس ويوحنا إلى جانب

(١) في سفر الخروج : « فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان
جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر لم يبق منهم ولا
واحد » (٢٩/١٤) المترجم .

رسائل بولس وغيرها ؛ فإن القرآن قد سلم - منذ نزوله - من تدخلات البشر ؛ فمن بداية نزول الوحي كان النبي - ﷺ - والمسلمون معه يحفظون ما ينزل منه آية آية عن ظهر قلب ، ويدونونه - قبل جمعه وترتيبه - في حياة محمد - ﷺ - حتى وصل إلينا اليوم كيوم نزل بلا تحريف ولا تعديل .

المكانة الفريدة للقرآن !

وختاماً فإن مقارنة القرآن الكريم بمستوى المعارف السائدة في القرن السابع الميلادي - عصر نزول القرآن - ليدفع أى عالم منصف إلى القطع باستحالة أن يكون القرآن من وضع محمد - ﷺ - ، ويؤكد المكانة الفريدة للقرآن بين سائر النصوص ككتاب تلقته البشرية نصاً يفوق مستوى معارف عصره ؛ لم يأت بشر فيه بحرف ، أو كلمة ، أو عبارة من صنعه .

**تلخيص السّمات التي تؤكد أن القرآن الكريم
وحيّ من عند الله :**

وألخص فيما يلي السمات التي تؤكد أن القرآن
الكريم وحي من الله تعالى :

شروط صدق الوحي : متى يصح أن يكون
النص الديني وحيّاً من الله تعالى ؟

أى : ما الذى يثبت صدق تنزيل كتاب
كالقرآن من الله الخالق ؟ وما هى المعايير التي تميز
كلام الله عن كلام البشر ؟

عقلياً تتلخص هذه المعايير فى الآتى :

(١) المنطقية : فقد أنعم الله علينا بنعمة

العقل ، والحكمة التي نميز بها بين ما هو معقول ،
وبين ما يتعارض مع مبادئ المنطق ، ولا يصدر عن
الله تعالى إلا الكلام المعقول الذى يتقبله كل عقل سليم
مجرد عن الهوى .

(٢) الكمال : لما كان الله الخالق الأعظم هو : الكمال ؛ فلا بد أن يتسم كلامه وحده بالكمال والدقة ، وبالسلامة من الخطأ ، أو الحذف ، أو الإضافة ، أو تناقض العبارات ، وتضارب النسخ والصيغ .

(٣) العقلانية : فلا يمكن لوحى الله أن تشوبه الخرافات والأساطير التى لا تليق بعظمة الله ، أو تنحط بعقل الإنسان .

(٤) العلمية : لما كان الله هو الخالق العليم فلا بد للوحى أن يكون قبساً من علم الله ، وأن لا يناقض العلم والمعارف الصحيحة الثابتة فى أى زمان ومكان .

(٥) علم الغيب : استأثر الله وحده بعلم الماضى والحاضر والمستقبل معاً ؛ لذا فكل ما جاء به من أنباء الماضى ونبوءات المستقبل لابد أن يثبت

صدقها .

(٦) استحالة التقليد : الوحي الصادق من الله تعالى لا يحاكيه بل ولا يدانيه كلام بشر ، وهو معجزة حية باقية ، وكتاب مفتوح لكل البشر يقرءونه ، ويمحصون صدقه على امتداد الزمان والمكان .





مفاهيم الوحي القرآني

ألخص فيما يلي المفاهيم الأساسية للعقيدة الإسلامية طبقاً للقرآن الكريم :

(١) الوجود : لم يكن خلق الكون ، ووجود الإنسان على الأرض صدفة ، أو حدثاً عارضاً ، بل إن كل ما في هذا الكون حتى أصغر ذرة فيه تنطق وتهتف بوجود الخالق العظيم الرؤوف الرحيم ، بدون ما كان شيء من العدم ، وكل نفس تنبض بالحياة تدرك أنها لم تصنع ذاتها ، بل أتى بها إلى هذا الوجود الخالق الأعظم : الله الذى تتشوق كل نفس إلى ذاته ورضاه !

(٢) الإنسان : الإنسان مخلوق فريد بين سائر الكائنات الأرضية ؛ جعله الله خليفة له فى هذا الكوكب الأرضى ، واستخلفه على سائر الأحياء ، وكرمه بملكة العقل والحكمة التى يسموها على سائر الأحياء

يقول الرسول - ﷺ - : « لا حسد إلا في اثنتين :
رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه
الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها »^(١).

وإلى جانب هذه الملكات التي يميز بها الإنسان
بين الطيب والخبيث ، وبين النافع والضار ، وبين
الخير والشر ، وهب الله الإنسان نعمة الحرية ليختار
بنفسه إما : طريقاً في الحياة يليق بخلافته لله في
الأرض ، أو دَرْكاً ينحط به إلى ما دون سائر
الحيوانات والمخلوقات .

لقد ولد الإنسان بريئاً طاهراً من كل خطيئة
موروثة ، وله مطلق الحرية أن يرتفع بالفضائل ، أو
ينغمس في الرذائل .

(١) ذكر المؤلف ما ترجمته الحرفية : « ما خلق الله تعالى شيئاً أفضل من
الحكمة ، ولا أكمل ولا أجمل من الحكمة » ، ولم نعثر على تخریج لحديث
كهذا ، فلعله يقصد ما بيناه من صحيح البخارى ، وأخرجه أيضاً مسلم
والنسائي وابن ماجه (المترجم) .

(٣) الهدى الإلهى : لفرط رحمة الله بعبده الإنسان وحبه الخير له ، لم يتركه تائهاً فى دروب الحياة باحثاً عن الحقيقة وحيداً متجشماً عناء التجربة المريرة ، والخطأ المتكرر ، بل وهبه - إلى جانب العقل والحكمة - الرسائل الهادية عن طريق الرسل والأنبياء لتحدد له معالم الحق ، وحقائق الوجود فى هذه الحياة الدنيا وما بعدها .

(٤) الوحى : منذ فجر التاريخ أرسل الله رسله وأنبياءه بالوحى الإلهى ، داعين إلى طريق الامتثال والطاعة لله الواحد الأحد ، وذلك جوهر الإسلام ، تلك الرسالة الواحدة التى حملها كافة الأنبياء إلى البشر جيلاً بعد جيل ، وبمضى الوقت تعرضت كل الرسائل السابقة لتحريف البشر أو الضياع ، فاختلط الوحى الإلهى بالخرافات والأساطير ، وعبادة الأوثان ، وشطحات الفلاسفة ؛ حتى ضاع دين الله بين ركام التصورات

والمعتقدات ، فما كان تاريخ البشرية إلا دورات صعود وهبوط بين النور والظلام ، وبين الهدى والضلال ، لولا أن الله لرحمته بالبشر لم يتركهم بلا معين يتجدد لينقذها من دياجير الظلام ! .

(٥) خاتم الرسالات : وعندما وصل البشر إلى أسفل عهود الجاهلية والظلام ، أرسل الله خاتم المرسلين سيدنا محمدًا ﷺ لينقذ البشرية من جديد ، إلا أن الرسالة هذه المرة كانت تمامًا لكل ما نزل قبلها ، ونبراسًا باقياً للهدى إلى يوم الدين^(١).



(١) وقد كان ! وللتحقيق العمل لهذه النبوءة أيضاً إعجاز القرآن القائل : ﴿ ما كان محمدٌ أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ [الأحزاب : ٤٠] المترجم .

والآن رسالة إلى عزيزى القارئ !

فى البدء نقول :

- لا يجبرك أحد على اعتناق مالا تفهمه وتقتنع به !
- ولكن العار - كل العار - على إنسان مثقف مثلك أن تحرم نفسك من مجرد المحاولة للبحث عن الحقيقة !

- لقد أنعم الله علينا بنعمة العقل ؛ حتى نستخدمه فى التفكير والتأمل ؛ لنحكم على الأشياء حكماً موضوعياً منظماً !
- وأنا لا ألح عليك أن تتعجل قبول مبادئ الإسلام ؛ فالإسلام نفسه يقرر حرية الفكر والاختيار^(١).

(١) قال تعالى : ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ... ﴾ [البقرة : ٢٥٦] المترجم .

● وليس هذا فحسب بل إنك إن اهتديت فعلاً إلى صدق رسالة الإسلام ، لا يعنى ذلك أن يُكْرِهَكَ أحد مباشرة على اعتناقك إياه ، والعمل بما جاء فيه .

● ولكنى أنصحك - قبل الحكم على مدى صدق رسالة الإسلام - أن تسأل ضميرك : هل تعرف عن الإسلام قدراً كافياً يسمح لك بالحكم الموضوعى عليه ؟

وهل تلقيت مفاهيمك ومعلوماتك تلك عن مصادر يعتد بها ؟ أم ركنت إلى ما يقوله ويكتبه غير المسلمين ، أو المتظاهرون بالإسلام ، والجهلاء بدينهم من المسلمين ، وكثير من هؤلاء لم يدرسوا القرآن حق دراسته ، ولم يقرءوا في الإسلام إلا قشوراً وادعاءات ؛ ثم يتباهون بأنهم رسل التنوير والعقلانية ، والفهم الصحيح لجوهر الدين (دون البحث في نصوصه) .

● هل من العدل أن تحكم على مذاق طعام دون أن تذوقه بنفسك ؛ بل وتهضمه جيداً لتعرف قدره ونفعه ؟ أم تركز إلى رأى غيرك وذوقه ؟

● إن لك - عزيزى القارىء - أن تختار المنهج الذى يتفق مع احترامك لعقلك حتى تصل إلى الحق !

● وأياً ما كان منهجك ، وأياً ما كانت نتيجة بحثك ، فإننى أكرر ثانية أن الإسلام يؤكد تماماً حريتك فى استخدام ملكاتك الخاصة فى التفكير واتخاذ القرار ، ولكل إنسان إرادته المستقلة التى لا يحق لأحد الاعتداء عليها ولا إكراهه على قبول دين أو العمل به . عليك أن تفكر وتقرر بنفسك .

وختاماً أتمنى لك عزيزى القارىء - رحلة طيبة للبحث عن الحقيقة !

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .



الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
الدين والعلم	١٣
القرآن والكشوف العلمية	٢١
في الفلك والضوء والحركة	٣٥
في الأرض وعلوم الحياة	٤٥
في خلق الإنسان	٥٥
القرآن في مقابل الكتاب المقدس	٦٥
قصة الطوفان	٧٣
مفاهيم الوحي القرآني	٨٥

رقم الإيداع ٤٧٨٢ - ١٩٩٣